فضائل يوم عرفة

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه

تمَّ تنسيقُ هذه المادة ومُراجعتها في



هاتف: ٩٦٥ ٥٠٣٥٠٠٧٧+ البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمدٍ الأمين، وعلى آله وصحْبه أجمعين، أما بعدُ:

فإنَّ حجَّ بيت الله تعالى هو الركنُ الرابعُ من أركان الإسلام الخمس، وهو واجبٌ على كُلِّ مسلمٍ مُكلَّفٍ مُستطيعٍ[(١)]، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وثبتتْ لهذه العبادة العظيمة فضائل عدَّة، منها قول النبيِّ ﷺ: «**الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة**»[(٢)].

---

(١) **المُكَلَّف**: هو البالغُ العاقلُ، **والاستِطاعَةُ** تشمل:

- **الاستطاعةَ البدنيةَ**؛ بأن يكون صحيحَ البدن، ويقدِر على تحمُّلِ مشقة السَّفر وأداء المناسك.
- **والاستطاعةَ الماليةَ**؛ بأن يملِكَ تكاليفَ الحجِّ والسَّفر إليه.

(٢) أخرجه مسلم، رقم: (١٣٤٩).

وقولُهُ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هذا البيتَ، فلم يَرفُث**[١]**، ولم يَفْسُق، رَجَعَ كما ولدته أُمُّهُ**»[٢].

وقد اختصَّ الله عَزَّوَجَلَّ هذه الفريضةَ بأن جعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيَّام أدائها خيرَ أيَّام السَّنةِ علىٰ الإطْلاق، كما قال النبي ﷺ: «**ما مِنْ أيامٍ أعظمُ عند الله، ولا أحبُّ إليه مِن العمل فِيهن مِنْ هذه الأيام العشر**»[٣].

ثمَّ اختصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يومَ عرفةَ مِنْ بين هذه الأيام العشر بِفضائِلَ عِدَّة، وجعلَ الوُقوف فيه ركنَ الحجِّ الأعظم، كما قال النبيُّ ﷺ: «**الحجُّ عَـرَفة**»[٤].

---

(١) **الرَّفث**: هو الجِماعُ، ومُقدِّماته الفعليَّة؛ كالتقبيل ونحوه، والقوليَّة؛ كالكلام المتعلِّق بالجِماع والشَّهوة، ويدخُل في ذلك الكلام البذيء.

(٢) أخرجه البخاري، رقم: (١٨١٩)، ومسلم رقم: (١٣٥٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد، رقم: (٦١٥٥)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الأمالي المطلقة» (ص١٤).

(٤) أخرجه أبو داود رقم: (١٩٤٩)، والترمذي رقم: (٨٨٩)، وصححه الألباني في «الإرواء» رقم: (١٠٦٤).

ولأهمية يوم عرفةَ، وعظيمِ منزلته أحببتُ جمعَ جملةٍ من الفضائل الثابتة عن نبيِّنا الكريم ﷺ في هذا اليوم؛ ليُدركَ الحاجُّ هذه النعمةَ العظيمةَ، وهذا الشرفَ الكبيرَ الذي يسَّرهُ الله له بشُهُوده هذا اليوم، وأدائه هذا النُّسك العظيم، ثمَّ ذكرتُ بعضَ التنبيهات التي ينبغي علىٰ الحاجِّ التنبُّهُ لها أثناء وجودِهِ في هذه البقعة المباركة، في يوم عرفة.

وأسألُ اللهَ أن يتقبَّلَ مِن حُجَّاج بيتِ الله حجَّهم، وأنْ يجعلَهُ حجًّا مَبْرورًا، وسَعْيًا مَشْكورًا، إنَّه سميعٌ مُجِيب.



الفضيلة الأولى

أنه خيرُ أيام السَّنة على الإطلاق(١)

فيوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجَّة، وثبتَ عن النبيِّ ﷺ أنَّ هذه الأيام العشر هي أفضلُ أيَّام السَّنة على الإطلاق، وأنَّ العملَ الصالحَ فيها خيرٌ من العمل في غيرها، فعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ أيامٍ أعظمُ عند الله، ولا أحبُّ إليه مِن العمل فِيهن مِنْ هذه الأيام العشر**»(٢).

وقد أقسم ربُّ العالمين جل جلاله بهذه الأيام العشر في كتابه الكريم -وهو سبحانه وتعالى لا يُقسِم إلا بعظيم-، فقال تعالىٰ في

---

(١) علىٰ خِلافٍ بين أهل العلم في التَّفضيل بينَهُ وبين اليوم الذي يليه؛ يوم النَّحر، وانظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص٢٨٠).

(٢) تقدَّم تخريجه (ص٤).

سورة الفجر: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ الليالِيَ العشر التي أقسمَ الله بها: هي ليالي العَشْر الأُوَل من ذي الحجة»، وكذا قال عبدُ الله بنُ الزبير، ومجاهدٌ، ومسروقٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ، والضَّحاكُ، وغيرُهم مِن سلف هذه الأمَّة، ورجَّحَهُ ابنُ جرير الطبري، ونقلَ عليه إجماعَ أهل التفسير[١].

بل إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أقسمَ بيوم عرفةَ ممَّا يدلُّ على أنَّ له مزيدَ فضلٍ وعظمةٍ على أيام العشر الأخرى، فقال تعالى في سورة البروج: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**اليومُ المَشْهُودُ: يومُ عَرَفة، والشاهِدُ: يومُ الجُمُعة...**»[٢]، وبذلك فسَّره أيضًا الخليفةُ الراشدُ عليُّ بن أبي طالب، وأبو هريرة، وابن عبَّاس رضي الله عنهم[٣].

---

(١) انظر لما سبق: «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٤/ ٣٤٥-٣٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٣٣٣٩)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٠٢).

(٣) انظر لما سبق: «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٤/ ٢٦٤).

الفضيلة الثانية

أنه اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتمَّ به النعمة

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنزل على نبيِّه الكريم ﷺ في عشيةِ يوم عرفةَ قولَه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وفي «الصحيحين» عن طارق بنِ شِهاب أن رجلًا من اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: «يا أميرَ المُؤْمنينَ آيةٌ في كِتابِكُمْ تَقْرَؤونها لو علينا نزَلَتْ مَعْشَرَ اليهودِ لاتَّخَذْنا ذلك اليوم عِيدًا»، قال: «وأَيُّ آيةٍ؟»، قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، فقالَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنِّي لأَعْلَمُ اليومَ الذي نَزَلَتْ فيه، والمكانَ الذي

نَزَلَتْ فيه؛ نَزَلَتْ على رسُولِ اللهِ ﷺ بِعَرَفاتٍ في يومِ جُمُعَةٍ»[١].

قال ابنُ جَرير الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾: «اليومَ أكملتُ لكم أيُّها المؤمنون فرائضي عليكم، وحدودي، وأمري إياكم ونَهْيِي، وحلالي وحرامي ... والأدلةَ التي نصبْتُها لكم على جميع ما بكم الحاجةُ إليه مِنْ أمرِ دِينكم، فأتمَمْتُ لكم جميعَ ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم، وكان ذلك في يوم عرفةَ، عام حَجَّ النبيُّ ﷺ حجةَ الوداع»[٢].

ولهذا ينبغي للمسلم عند وقوفه في أرض عرفات، أن يتذكرَ نعمةَ الله عَزَّ وَجَلَّ عليه وعلى جميع الثَّقَلين بتمام هذا الدِّين وإكمالِهِ، فيحرص بعد ذلك أشدَّ الحرصِ على المحافظة على شرائع دينه التي لا نقصَ فيها؛ ويحذرَ كلَّ الحذر من الابتداع في الدِّين،

---

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٤٥) ومسلم، رقم: (٣٠١٧).

(٢) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٨/ ٨٠).

بأن يُحدِثَ أعمالًا ما أنزل اللهُ بها مِن سُلطان؛ لأنَّ «**كلَّ مُحدَثَةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة**»(١)، وقد قال نبيُّنا الكريم ﷺ: «**مَن أَحْدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**»(٢)، أي: مردودٌ على صاحبِهِ.



(١) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في الإرواء رقم: (٨٩١).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم رقم: (١٧١٨).

الفضيلة الثالثة

هو أكثر الأيام التي يُعتق فيها من النار

عن أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن يومٍ أكثرَ مِنْ أن يُعْتِقَ الله فيه عَبْدًا مِن النَّارِ مِن يومِ عرفَةَ، وإنَّه ليَدْنُو، ثمَّ يُباهي بهم الملائكةَ، فيقولُ: ما أرادَ هؤلاء؟**»[(١)].

فيوم عرفة أكثر أيام السنة عِتقًا من النار، فعلى المسلم أن يَحرصَ على الإقبال على الله في هذا اليوم العظيم إقبالًا صادقًا، وأن يلجأ إليه بالدُّعاء بأن يكتبَهُ اللهُ عز وجل في تلك العَشِيَّة من عتقائه من النار الذين لا يحصيهم إلا هو عز وجل.

وعلى المسلم أن يحرِصَ أيضًا على اجتِناب الأمور التي

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٣٤٨).

تمنَعُ مِن تحصيلِ هذا الفضل العظيم؛ **كالشِّرك**، ومنه: دعاءُ غيرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، أو صَرْفُ شيءٍ من العبادة لِغَيره؛ فهو الذنب الذي لا يغفِرُهُ الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، بل إنَّ الشِّرك بالله مُحبِطٌ لجميع الأعمال الصالحة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، **وكالبِدَع**؛ فإنَّها موجِبةٌ لِرَدِّ العملِ وعَدَمِ قبولِه، **وكالتَّعاظُمِ في النَّفس والتكبُّر على الخَلْق**، فقد روىٰ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ: «**لا يُرىٰ يومٌ أكثرَ عتيقًا من النار منه -أي: من يوم عرفة-، ولا يَغفِرُ الله فيه لمختال**»[1]، وصحَّ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَنْظُرُ اللهُ إلىٰ مَنْ جَرَّ ثوبَهُ خيلاء**»[2]، **وكالإصرارِ على**

---

(١) أخرجه الإسماعيلي في «معجم أسامي الشيوخ» (ص٣٢٦) من حديث أبي الزُّبير عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه راوٍ ضعيف، وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني رقم: (٨٨١٣) من حديث أيوب عن القاسم بن أبي بزَّة، وشكَّ أيوب في رفعه أو وَقْفِه، فالحديث حَسَنٌ باجتماع الطريقين، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٥٧٨٣)، ومسلم رقم: (٢٠٨٥).

فعل الكبائر، فإنَّ الصلواتِ الخمسَ -وهي أعظم أركان الدين بعد الشهادتين- لا تُكفِّر الذُّنوبَ للمُصِرِّ على فعل الكبائر والموبِقات، كما قال النبي ﷺ: «**الصلواتُ الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما لم تُغْشَ الكبائر**»(١).

فلذلك على الحاجِّ الذي أكرمَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه العبادة العظيمة أن يكون طامِعًا في ذلك اليوم بأن يكونَ مِنَ العُتقاء من النار، وأنْ يُلِحَّ على الله بالدُّعاء بذلك، وأن يعزِمَ بقلبِهِ عزمًا صادقًا على الإقلاع عن كبائر الذنوب والآثام؛ لينال هذا الفوزَ الكبير، والفضل العظيم من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٢).



(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٣٣).

(٢) انظر: «لطائف المعارف» للحافظ ابن رجب (ص٦٢٨).

الفضيلة الرابعة

دنوُّ الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من عباده

ففي حديث أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدِّم: «... وإنَّه لَيَدْنُو، ثمَّ يُباهي بهم الملائكةَ، فيقولُ: ما أرادَ هؤلاء؟»[١].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإِنَّهُ لَيَدْنُو» أي: ينزلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى السَّماء الدنيا، ويدنو مِنْ عباده في عرفات دنوًّا يليقُ بجلاله وعظمته وكماله، من غير تكييفٍ ولا تمثيل، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، وهذا النزول والقرْبُ مِن أهل عرفة هو مِن رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، حيث يترتَّبُ عليه كثيرٌ من الخيرات والبركات، وتنزُّلُ الرَّحمات، كما في الحديث عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه أجاب أحدَ

(١) تقدَّم (ص١٢).

الصحابة ﵃ حينَما سألَهُ عن ثواب مَن وقفَ في عرفةَ، فقال ﷺ: «**أما وُقُوفُك بعَرَفةَ: فإنَّ اللهَ ﷿ ينزلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيُباهي بهِم المَلائِكةَ، فيقول: «هؤلاء عِبادي، جاؤُوني شُعْثًا غُبْرًا، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق، يَرجُون رَحْمَتي، ويَخافُون عَذابي، ولَمْ يَرَوْني، فكَيْفَ لو رَأَوْني؟» فلوْ كان عَلَيْك مِثلُ رَمْل عالِج[١]، أو مِثلُ أيام الدُّنيا، أو مِثلَ قَطْرِ السَّماء ذُنُوبًا غَسَلَها الله عنك**»[٢].



(١) **العالج**: ما تكاثَرَ مِنَ الرَّملِ ودخلَ بعضُهُ في بعض.

(٢) أخرجه الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» رقم: (١٣٥٦٦)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم: (١٣٦٠).

الفضيلة الخامسة

مباهاة الله عَزَّ وَجَلَّ بأهل عرفة الملائكة

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُباهي ملائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عرَفَةَ بأهلِ عرَفَةَ فيقولُ: انْظُرُوا إلى عبادِي أَتَوْني شُعْثًا غُبْرًا**»[(١)]، وقد تقدَّم في حديث أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُباهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ**».

وهذه فضيلة عظيمة لأهل عرفة؛ أنَّ ربَّ العالمين جَلَّ جَلَالُهُ يُباهِي بهم الملأَ الأعلى من الملائكة الكِرام البررة، وهو عَزَّ وَجَلَّ غنيٌّ عن عِباده، وغنيٌّ عن حَجِّهم ودعائِهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد رقم: (٨٠٤٧)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم: (١٨٦٨).

﴿يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر:١٥-١٧]، فهو جَلَّ جَلَالُهُ مع كمال غناه عن خلقه يُباهي بأهل هذا الموقف الملائكة؛ إكرامًا لهم.

وهذه المُباهاة للملائكة دالَّةٌ علىٰ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد غفر ذنوبهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإنَّ الحُجَّاجَ لمَّا جاؤوا من بلدان شتَّىٰ طلبًا لرحمة رب العِباد، ورغبةً في الفوز بالرضوان والجنان، والعِتق من النيران؛ أكرمهم اللهُ بأن غفرَ ذنوبهم، وباهىٰ بهم الملائكة، كما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال فيمَن يقِفُ بعرفة: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَهبِطُ إلىٰ سماء الدنيا، فيُباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤُوني شُعثًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميق، يَرجُون رَحْمتي، فلو كانَتْ ذنوبكم كعدد الرَّمل، أو كَقَطْرِ المَطَر، أو كزَبَد البَحر، لغَفرتُها، أفِيضُوا عبادي مَغفورًا لكم، ولِمَنْ شَفَعْتُم له**»(١).

(١) أخرجه البزار في مسنده رقم: (٦١٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم: (١١١٢).

الفضيلة السادسة

استجابة الله عَزَّوَجَلَّ دعاء أهل عرفة

فإنَّ اللهَ يجيبُ مَن دعاهُ، ويُعطي مَن سأله من أهل الموقف في هذا اليوم العظيم، كما مرَّ في حديث أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ الله: ما أَرادَ هؤُلاء؟**».

فيسألُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ملائكتَهُ: «**ما أراد هؤلاء؟**» وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم بهم، وأعلم بما في قلوبهم، ولكنَّه عَزَّوَجَلَّ يقول ذلك ليعطيَهم ما أرادوا، ويجيبَهم ما سألوا، ولهذا فإنَّه عَزَّوَجَلَّ يقول بعد ذلك: «**اشْهَدُوا مَلائكتي أني قد غَفَرتُ لهم**»(١).

بل إن الله عَزَّوَجَلَّ مِن إكرامه لأهل ذلك الموقف أنَّه يَقبَل شفاعتهم فيمن دعوا له، واستغفروا له، كما ثبت في الحديث

---

(١) انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» رقم: (١١٥٤).

السابق أنه ﷻ يقول: «**أَفِيضُوا عبادي مَغفورًا لكم، ولمَنْ شَفَعْتُم له**»[١].

ولهذا كان يوم عرفة خيرُ يومٍ في السَّنة للدُّعاء والمناجاة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعاءِ: دُعاءُ يوْمِ عرَفَةَ**»[٢].

قال ابنُ عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا الحديث مِنَ الفِقه: أنَّ الدعاء يومَ عرفةَ أفضَل مِن غيره... وفي الحديث دليلٌ على أنَّ دعاء يوم عرفة مُجابٌ كُلُّه في الأغلب»[٣].

فينبغي للحاجِّ في هذا اليوم أن يدعوَ الله ﷻ وهو مُوقِنٌ بالإجابة، وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لن يَرُدَّ سؤاله، ولن يُخَيِّبَ أمَلَهُ، فيدعوه ذلك للإخلاص والإلحاح على الله عَزَّ وَجَلَّ بصدق،

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» رقم: (٦١٧٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم: (١١١٢).

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٣٥٨٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٠٣).

(٣) «التمهيد» (٦/ ٤١).

ويدعوه إلىٰ إحسان الظنِّ بربِّه الكريم.

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «جئتُ إلىٰ سفيانَ الثوري عَشِيَّةَ عَرَفة وهو جاثٍ علىٰ ركبتيه، وعيناهُ تهملان، فبكيتُ فالتفتَ إليَّ فقال: ما شأنك؟ فقلتُ: مَنْ أسوأُ أَهْل هذا الجَمْعِ حالًا؟ فقال سفيانُ: الذي يظُنُّ أنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ لهم»(١).

ووقفَ الفُضَيلُ بنُ عِياض رَحِمَهُ اللَّهُ بعرفة، فنَظَرَ إلىٰ نَشِيج(٢) النَّاس وبكائِهم عشِيَّة عرفة، فقال: «أرأيتمْ لو أنَّ هؤلاء صاروا إلىٰ رجلٍ فسألوهُ دانِقًا(٣)، أكان يَرُدُّهم؟ قالوا: لا، قال: والله، للمَغْفرة عند الله أهونُ مِنْ إجابةِ رجلٍ لهم بِدانِق»(٤).



---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص٩٢).
(٢) **الدانق**: هو سُدُس الدِّرهم، وعبَّر به لبيان قلَّة المطلوب وهوانه.
(٣) **النَّشيج**: هو الغصُّ بالبُكاء في الحلقِ دون أن ينتَحِبَ أو يرفع صوته به.
(٤) «مجلسٌ في فضل يوم عرفة» لابن ناصر الدين الدمشقي (ص٦٣).

الفضيلة السابعة

أنه من أعظم أيام السَّنة إرغامًا للشيطان

فعن طلحة بن عُبيد الله بن كُريز رَحِمَهُ اللَّهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما رُئِيَ الشيطانُ يومًا هو أصغرُ، ولا أدحَرُ، ولا أحقرُ، ولا أغيظُ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأىٰ مِن تَنزُّل الرَّحمة، وتجاوز الله عن الذُّنوب العِظام**»(١).

فالشيطان يغيظُهُ ويسُوءُهُ ما يكون في ذلك اليوم مِن عتق الرِّقاب، وتنزُّل الرَّحمة ومغفرة الذُّنوب، لكنَّه يرجِعُ خائِبًا خاسِرًا مدحورًا.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» رقم: (٩٤٤)، وإسناد هذا الحديث ثابتٌ إلىٰ طلحة بن عبيد الله، وهو تابعيٌّ، فالحديث مرسلٌ، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنىٰ هذا الحديث محفوظٌ مِنْ وجوه كثيرة».

تنبيهات في يوم عرفة

ولمَّا كان يوم عرفةَ خير يومٍ للدُّعاء نذكرُ بعضَ التنبيهات المتعلِّقة بالدُّعاء في هذا اليوم العظيم، فمن ذلك:

أولاً: يُستَحبُّ في هذ اليوم أن يُكثِرَ المسلم من ترداد كلمة التوحيد (لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير)، فإنَّ هذا هدي الأنبياء جميعًا عليهم السلام، كما قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعاءِ: دُعاءُ يوْمِ عرَفَةَ، وخيرُ ما قُلتُ أنا والنبيون مِن قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير**»(١).

وفي رواية: «**وخَيْرُ ما قُلْتُ أنا والنَّبِيُّون مِنْ قَبْلي عَشِيَّة عَرَفة**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٥٨٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» رقم: (٨٧٤).

وفي ترداد هذه الكلمة في هذا اليوم مناسبة عظيمة، فإنَّ يومَ عرفة هو خيرُ الأيام وسيِّدُها، وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي سيِّدة الأذكار وأفضلها، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضَلُ الذِّكْرِ: لا إِله إِلَّا اللهُ**»[(١)]، فكان من المناسب أن يُكثِرَ العبدُ مِن سيِّد الأذكار في سيد الأيام.

ثانيًا: يُستحبُّ في هذا اليوم أن يرفعَ الداعي يديه حال الدعاء، فعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِي ﷺ بِعرفاتٍ، فرَفَعَ يدَيْهِ يَدْعُو، فمالَتْ به ناقَتُهُ، فسَقَطَ خِطامُها، فتناوَلَ الخِطامَ[(٢)] بإِحْدى يدَيْهِ، وهُوَ رافِعٌ يدَهُ الأُخرى**»[(٣)]؛ ففي الحديث يَظْهرُ حِرصُ النبيِّ ﷺ على الدعاء ورفع اليدين في ذلك اليوم، فرُغْمَ سقوط خِطام النَّاقة، إلا أنَّه ﷺ استمرَّ في

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٣٨٣)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٤٩٧).

(٢) **الخِطامُ**: هو الحَبْلُ الذي يُقادُ به البعير.

(٣) أخرجه النسائي رقم: (٣٠١١)، وصحح الألبانيُّ إسناده.

الدعاء، واستمرَّ رافِعًا إحدىٰ يديه لانشغال الأخرىٰ بتناول الخطام الذي سقط.

وصحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ ربَّكم تبارك وتعالىٰ حَيِيٌّ كَريم، يَسْتَحي مِنْ عَبدِهِ إذا رَفَع يديه إليه أنْ يردَّهُما صِفرًا**»[(١)].

ثالثًا: أن يحرصَ الحاجُّ علىٰ الأدعية المأثورة عن النبيِّ ﷺ في صحيح السنَّة؛ فإنَّ في ذلك فوائد عِدَّة، **منها**:

* أنَّ النبيَّ ﷺ أُوتِيَ جوامع الكَلِم، فأدعيتهُ ﷺ اشتَملتْ علىٰ طلب غاية الكمالات، والمطالب الرفيعة، وخيري الدنيا والآخرة.

* أنَّ الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ سالمةٌ مِن أيِّ اعتداءٍ في الدعاء، أو خطأٍ في المعنىٰ؛ لأنه دعاءُ المَعْصُوم ﷺ، ويَتَّضحُ هذا في القصة التي وقعت للصحابيِّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(١) أخرجه أبوداود رقم: (١٤٨٨)، والترمذي رقم: (٣٥٥٦)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم: (١٧٥٧).

حينما سَمِعَ ابنَهُ يدعو اللهَ قائلًا: «اللهُمَّ إني أَسأَلك الجنةَ، ونَعِيمَها، وإستبرَقَها، ونحوًا مِن هذا، وأعوذُ بك مِنَ النار، وسلاسِلِها، وأغلالِها»، فقال له سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: «لَقَدْ سَأَلتَ اللهَ خيرًا كثيرًا، وتعوَّذتَ بالله مِنْ شَرٍّ كثير، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنه سيكونُ قومٌ يعتدون في الدُّعاء**»، وقرأ هذه الآية: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، وإنَّ حَسْبَكَ أن تقولَ: اللهمَّ إني أسألكَ الجنةَ، وما قَرَّب إليها مِنْ قولٍ أو عمل، وأعوذُ بك مِنَ النار، وما قَرَّب إليها من قول أو عمل»[(١)].

فالمسلمُ الذي يلتَزِمُ الأدعيةَ المأثورةَ عن النبيِّ ﷺ يُحصِّلُ بركةً كبيرةً، وخيرًا عظيمًا، ويسْلمُ من المحاذير التي قد تقع في دعائه، والله أعلم.

---

(١) أخرجها الإمام أحمد رقم: (١٤٨٣) واللفظ له، وأبو داود رقم: (١٤٨٠)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» -الأم- رقم: (١٣٣).

رابعًا: أنْ يُخْلِصَ في دعائِهِ، وجميعِ أعمالِهِ، فإنَّ الإخلاصَ أحدُ شَرْطَي قبولِ الأَعْمال الصَّالحة(١)، وانعدامُهُ مُحبِطٌ للعمل، ولهذا عندما أهلَّ النبيُّ ﷺ بالحَجِّ من ذي الحُلَيفةِ قال: «**اللهمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لا رِياءَ فيه ولا سُمْعَةَ**»(٢)، فقد يتكبَّدُ العبدُ مشاقَّ الحجِّ، ثمَّ لا يجدُ شيئًا مِن ذلك يومَ القيامة، وذلك لأنه كان مرائيًا في حجِّه، غير مُخلصٍ فيه لله عَزَّ وَجَلَّ.

وكثير من الحُجَّاج -للأسف- قد فُتِنوا في هذا الزمان بالتقاطِ الصُّوَر حال تأديتِهم لمناسِك الحجِّ، ومقصودُ كثيرٍ منهم مشاهدةُ الآخرين له وهو يؤدِّي هذه العِبادة، وبعضُهم يتلبَّس في العِبادة أو الدُّعاء في المشاعِر ليتمَّ تصويرُهُ وهو في هذه الحال!!

ويخشَىٰ علىٰ مَن يفعل مثل هذا أن يُحرمَ أجرَ الحجِّ كلِّه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ

---

(١) والشَّرطُ الآخر: أن يكونَ العملُ مُوافِقًا لسنَّة النبي ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم: (٢٨٩٠) وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، ويقول النبيُّ ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّة، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله، فهِجْرتُهُ إلى الله ورسوله، ومَنْ كانت هِجْرته إلى دُنيا يُصِيبُها أو امرأةٍ يَتَزَوَّجها، فهجرتُهُ إلى ما هاجر إليه**»(١)، وفي الحديث القدسي يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «**أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**»(٢).

فعلى الحاجِّ أنْ يجعل نصبَ عينيه إخلاصَ حجَّته لله عَزَّوَجَلَّ، وطلبَ رِضْوانه وحده عَزَّوَجَلَّ، وأن يجتَهِدَ في الحفاظ على حجِّه من البُطلان أو ما يشوبُ قبولَه.

خامسًا: أن يُعَمِّمَ في الدُّعاء لوالديه وقرابته وعموم المسلمين؛ ليَعُمَّ نفعُهُ، وأنْ لا يَقْصُرَ الدعاء على نفسِهِ، لا سيَّما مع وجُود هذه الفِتَن العظيمة التي تعصِفُ ببلاد المسلمين؛ مِن

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (١)، ومسلم رقم: (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٢٩٨٥).

إراقة الدِّماء، وسلبِ الأموال ونهبها، والتَّعدي على الأعراض، فاحرِص أن يكون للمسلمين مِن دعائك نصيبٌ؛ فإنَّ المسلمين آلامُهم واحدة، وآمالُهم واحدة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**المُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنيانِ؛ يَشُدُّ بَعضُهُ بعضًا**»(١)، وقال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمنينَ في توادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ وتعاطُفِهِمْ مثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتكى مِنْهُ عُضْوٌ تداعى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى**»(٢).

سادِسًا: **أن يحرِصَ الحاجُّ على حِفظِ وقتِهِ عشية عرفةَ من الضياع**، فيستغِلَّه بذكر الله والدُّعاء؛ ولهذا جمعَ النبيُّ ﷺ في يوم عرفة بين صلاتي الظهر والعصر جمعَ تقديم(٣)؛ ليتفرَّغ الحُجَّاج للدُّعاء والمناجاة.

وإنَّه مِنَ المؤسِف أن يُضيِّع الحاجُّ فضل الدُّعاء والتضرُّع في هذا اليوم العظيم المشهود، وينشغلَ بالتنقُّل هنا وهناك، أو

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٨١)، ومسلم رقم: (٢٥٨٥).
(٢) أخرجه مسلم رقم: (٢٥٨٦).
(٣) أخرجه مسلم رقم: (١٢١٨).

بالحديث مع غيره، أو بالنَّوم، ثمَّ يُفاجأَ فإذا الشمسُ قد غربتْ وفاتَتْهُ غنيمةُ الدُّعاء عشيَّةَ عرفةَ.

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ شعائر الحجِّ إنَّما شُرِعت لإقامة ذكر الله، فقال ﷺ: «**إنما جُعِلَ الطَّوافُ بالبيت، وبينَ الصَّفا والمروة ،ورميُ الجِمار لإقامة ذكر الله**»(١).

ولهذا ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب قاعدةً نافعةً، فقال: «إنَّ أفضلَ أهلِ كُلِّ عَمَلٍ أكثرُهم فيه ذِكْراً لله عَزَّ وَجَلَّ، فأفضلُ الصُّوَّام أكثرُهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ في صومهم...وأفضل الحُجَّاج أكثرهم ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا سائِرُ الأعمال»(٢).

فلا يستوي مَن عَمرَ أوقات حجَّته بالذِّكر والدُّعاء وقراءة القرآن وغيرها من الطَّاعات، ومَن ضيَّع وقتَهُ بغير ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم: (١٨٨٨)، وذكر الشيخ ابن باز في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٨٦) أنه ثابتٌ عن النبي ﷺ.
(٢) «الوابل الصيب» (ص٧٥).

سابعًا: أن يجتَنِبَ الحاجُّ الصَّخب في الدعاء، والأدعيَةَ الجماعيَّة؛ فذلك لا أصلَ له في سنَّة النبي ﷺ، وخيرُ الهدي وأكمَلُهُ هو ما كان عليه ﷺ، لذا فالمشروع أن يدعوَ كُلُّ حاجٍّ وَحْدَه مُنْفَرِدًا، وأن يذكرَ الله منفردًا، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما وهو يَصِفُ حالَ الصَّحابة رضي الله عنهم مع التلبية والذِّكر في غداة عرفة: «سِرْتُ هذا المَسِير مع النبي ﷺ وأصحابه، فمِنَّا المُكَبِّر ومِنَّا المُهَلِّل»(١)، فلم يكونوا يُلبُّون أو يُكبِّرون أو يدعون بشكلٍ جماعِيٍّ، أو يجعلون قائدًا يُردِّدون بعدَه.

هذا ما يسَّر الله عز وجل جمعَهُ، وجديرٌ بكلِّ مؤمن وفَّقه الله عز وجل لأداء هذا الرُّكن العظيم أن يَقْدِرَ له قَدْرَهُ، وأن يعرفَ مكانته، فيشكرَ المُنْعِمَ علىٰ ما حباهُ به من الخير الكبير، وما يسَّره من المنافعِ الكثيرةِ المترتبة علىٰ أداء هذه العبادة، كما قال اللهُ عز وجل: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٢٨٥).

فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾؛ لينالَ الأجرَ الوفيرَ مِن ربِّ العباد، ويفوز بالجنَّة والسَّعادة في يوم المعاد.

وخِتامًا أسألُ اللهَ العليَّ القدير أن يُوفِّقَ المسلمين لحُسن الإفادة من حَجِّهم إلىٰ بيته العتيق، وأن يتقبَّلَ عملَهم بقبولٍ حسن، وأن يغفرَ لنا أجمعين، وأن يجعلنا مِن عِباده الـمُتَّقين الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

